ناجي العلي.. صوت فلسطين

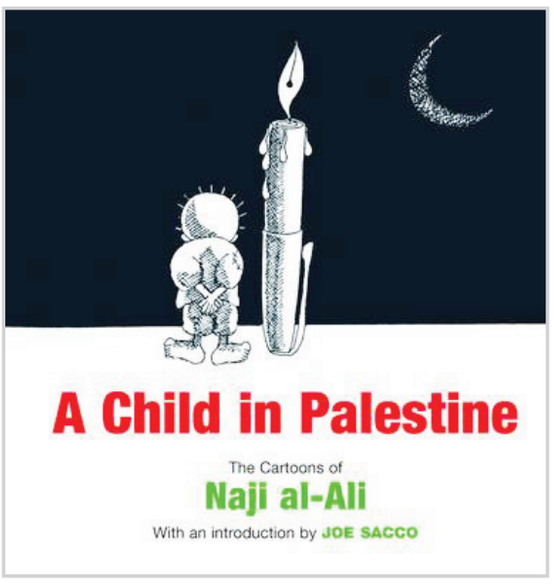

الكتاب: طفل في فلسطين
رسومات الرسام الكاريكاتيري ناجي العلي
ترجمة: ابتسام عبد الله

يقولـون ان القلـم أعظـم مـن السيـف وكان الرسـام الكاريكاتـيري السياسـي الفلسطينـي بالتأكيد يأمل ذلـك عندما سحـب سيفاً في طرفه قلـم لاذع، ومن أهم رمـوزه الفنية ما ظهـر على غلاف الكتـاب الذي حمل رسوماتـه الى القـراء البريطانيـين حيث يقـف القلم مستقيمـاً يلتـف طرفـه متحـولاً الى لهيـب شمعـة.. أنهـا صـورة بسيطـة لكنها معقـدة، فقطـرات الشمع المتساقطة أشبه بدموع حزينة وتوازن القلم المستقيم غير المدعوم بشـيء يعني الدولـة الفلسطينية ذاتها، ومع ذلك فإن خلفية الصورة حيث سماء ليلة فيها قمر خشن غريـب تريد ان تقول " ان تشعـل شمعة أفضل من ان تلعن الظلام".

ولد ناجي العلي في الجليل وكان ضحية كارثة النقب عام ١٩٤٨ عندما قام اليهود بإجلاء السكان السابقين عـن الأرض الموعودة، وقـد نشأ العلـي في مخيمات اللاجئين وفي السجون يخدش الجدران برسوماته الكاريكاتيريـة المحتجة حتى وجد عمـلاً له أخيراً في الصحافة.

ومـن عـام ١٩٦٩ والسنوات التالية قدمـت رسوماته شخصيـة حنظلـة الطفل حـافي القدمين الـذي يرقب بهدوء كل الشرور التـي تحصل في الشرق الأوسط، ومـع مـرور الأيام تحـول حنظلة الى ظاهـرة شعبية في الوطـن العربي والى تجـارة مربحة بطبع صوره على الأقـداح والبلـوزات القطنية وسلسلـة المفاتيح والقلائـد، وبدلاً من تواجد قط سمين كان هناك شاهد على الاعمال الوحشية والخيانات السياسية.

وقـد رفض ناجـي العلي إلقاء الخطـب فاسحاً المجال لرسوماتـه كي تتحدث عنه ولا نعلـم ان كان قد أحس كما هو شأن رسامـين آخرين من ان الصور لا تحتاج الى تفسير أو شرح أم انه شعر انه سيعيش مدة أطول بقليل إن أتخذ حنظلة دور الأبكم بدلاً من الكلام.

وعلى أي حال انطفأ حظ العلي في ١٩٨١ عندما أطلق النـار علـى رأسه خـارج مكاتب صحيفـة كويتية كان يعمـل فيها في مدينة لندن، وقد قيـل آنذاك ان منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد حذرته وطالبت بتعديل موقفـه تجـاه ياسـر عرفـات، تحذيـر تصـرف إزاءه بالاندفاع نحو هجاء أقوى.

وقد رفض ناجي العلي ان يكون ناطقاً باسم أي حزب سياسـي ملتزماً بدلاً من ذلـك بتمثيل شعبه المضطهد، وكانـت رسوماته تحاط عادة بنصوص، وقد قام عبد الهـادي إياد بتقديم مجموعة منها بنقله نوع الخطاب الـذي يتوقعه المرء مـن أية تظاهرة ضـد إسرائيل أو ضـد الاستيطـان الصهيـوني او الكيـان الصهيوني، وتلك النصوص تلقى شعبية فطرية وتلقائية واسعة، ولكن حنظلة الذي لا يقهر يعلن بفخر انه مستعد لرفع الكلاشيتكـوف من أجل إيجاد الأجوبة، وكان محمود الهنـدي يضيف تعليقات الى تلـك الرسومات "أطفال فلسطيـن يرمون الحجـارة علـى حادلـة إسرائيلية" والحادلة هي رمز للاستيطان الإسرائيلي.

ويقول الشاعر العراقي أحمد مطر: كانت اعمال العلي مثـل بوصلة تشير دائمـاً الى الحقيقة، وتلك الحقيقة هي فلسطين على الدوام، تـرى لماذا تجعلني الكلمات أجفـل بارتياب بينما تجعلني رسومـات ناجي العلي أجفـل بتعاطف، ربمـا ان ذلك يعود الى كـوني واعياً لحقيقـة امتلاك الإسرائيليـين حقيقتهم التي تعني ان إسرائيـل ستكـون دائمـاً او ربما ان فنـه جعل وجهة نظره وآراءه السياسية شبه عالمية.

وقـد تطور ناجـي العلي مع الزمـن، حقيقة لا يعترف بهـا عبـد الهـادي إيـاد (في توقـه ورغبتـه لتبجيـل ناجـي العلي وتقديمه معلمـاً ملهماً)، وقـد كان تأثير الاجتياح الإسرائيلي للبنان على ناجي العلي مدمراً، ورسوماتـه التي تلت ذلك يبدو فيهـا حنظلة وقد فقد هدوءه: فقد توقف عـن المراقبة وبدأ بتلويح الأعلام مغـالاة في الوطنيـة، رافسـاً الخارطـة الإسرائيلية وقاذفـاً للحجارة، بل حتى المسيـح المصلوب ينتزع ذراعـاً مسمـرة علـى الصليـب كـي يرمـي حجـارة تأييداً للانتفاضة، وعبر هـذه الرسومات يتحسس المرء مدى صلة الفنـان بالقضية وقلقه إزاء المأساة الفلسطينيـة واجتيـازه خطأ نحو الكفـاح المسلح، وتلـك الرسومات هي التي جعلت من عملية اغتياله أمراً لابد منه ومع الصعوبة التي وجدها المحررون للكتاب في اختيار عشرات من الرسومات فقط من بين عـدة ألوف من اعمـال ناجي العلـي، فإن هذه العملية أي الاختيـار تؤكد مدى اهتمامهم بتقديم تلك الرسوم التي تبرز الكفاح المسلح على حساب رسوماتـه الكثـيرة جـداً التـي تتنـاول ا لمأسـاة الفلسطينية والحزن الشفاف الرقيق.

لقـد خلق ناجـي العلـي في شبابه رمـوزاً مرئية للإنسانيـة والأسى الذي نتـج عن حروب بسبب الصـراع الفلسطينـي- الإسرائيلـي، وقـد كان ناجـي العلي طوال حياته متمسكاً بالأمل كونه أمـراً ضرورياً، وبعض رسوماتـه الأخـيرة توحـي بأنه وجد ذلـك أمراً صعبـاً، أي التمسك بتلك الفكرة، وبدلاً من توثيق صبر ومدى تحمل الفلسطينيـين في تلـك المرحلـة الصعبـة القاسية في تاريخهـم فأنه ربما قد شعر بأنه مجرد شاهد وحنظلة عاجـز وعقيم تجـاه مذبحـة جماعية تنفـذ تدريجياً، أمـر سيلغـي الى الأبد أحـلام شبابـه في العودة الى الوطـن، وإن كان ذلك الشيء صحيحاً فإن هذا الكتاب سيكون له أثران، الأول انـه يقدم للقراء البريطانيين فـن الرسـام الكبـير ناجـي العلي وموهبته الفـذة الهائلة، مع ان الرسومات المختارة لا تعـبر عن تلك الموهبة العظيمة ولا تفيها حقها، وثانياً ونقولها بأسـف شديد ان الكتاب يفيد في كونه وثيقة تبرهن على ان السيف أعظم من القلم.

عن الغارديان

حلقة (روزفلت) المقرَّبة والأيام المئة التي أوجدت امريكا الحديثة

بحلول وقت تنصيب <فرانكلين دي روزفلت> رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٣٣/٣/١٤ أغلقت المصارف ابوابها في (٣٨) ولاية أمريكية وتم الحد من سحب الأموال في (١٠) ولايات أخرى، وكانت سوق الأوراق المالية قد أعلنت انها لن تفتح أبوابها صباح ذلك اليوم ولم تعلن عن موعد إعادة فتحها.

وكانت البلاد ومسؤولياتها السياسية والاقتصادية الجديدة ستتغير بشكل عميق في الأشهر القليلة الأولى من عمر الإدارة الجديدة، وفي الفترة ما بين ٣/٤- ١٩٣٣/٦/١٦ لم يوقع الرئيس اقل من (١٤) مرسوماً تشريعياً مهماً وهي خطوة مدهشة لأكثر من مرسوم في الأسبوع، وبحلول ما تسمى بالمئة يوم كانت قد تمت إعادة بناء النظام المالي، وكانت الإعانة الاتحادية الشاملة لمالكي البيوت والمزارعين والعاطلين عن العمل في موضعها الصحيح، وكانت البلاد خارج قاعدة الذهب (في أنظمة النقد)، ورغم ان (الكساد العظيم) كان بالكاد قد انتهى (فقد اقتضى وقوع الحرب العالمية الثانية لتنهيه أخيراً) الا ان الانتعاش كان على الأقل قد بدأ.

الكتاب: لاشيء يستدعي الخوف
المؤلف : آدم كوهين
ترجمة: هاجر العاني

وعندما أعيد افتتاح سوق الأوراق المالية في الخامس عشر من آذار كان مزاج البلاد قد تغير الى حد كبير بحيث ان مؤشر (داو جونز) الصناعي قد أغلق على (١٥٪) ذلك اليوم على حجم ضخم.

وابـان تلك الفترة أدى [روزفلت] عمله بطريقة مماثلة لدكتاتور بـالمعنـى القـديم المـوجـود في (دستور الجمهورية الرومانية) وهو مسؤول يُمنَح النفوذ لفترة قصيرة ليعالج حالة طوارئ قومية خطيرة.

فعلـى سبيل المثـال تم إرسـال (مـرسـوم الإعـانـة المصرفية العاجلة) والذي لم تكن حتى قد تمت كتابته في الرابع من آذار (تم إرساله) الى الكونغرس في التاسع من آذار، ورئيس لجنة القطاع المصرفي في مجلس النواب الذي كانت بحوزته النسخة الوحيدة من المرسوم مع إضافات مكتوبة بالقلم الرصاص كان يمشي في الممشى بين الكراسي ملوِّحاً به فوق رأسه وهو يصيح "ها هو مشروع القانون فلنقرّه".

واعترف زعيم مجلس الجمهوريين بعدم قراءته لمشروع القانون لكنه قال ان الكونغرس كان بحاجة "الى إعطاء الرئيس ما يطلبه ويقول انه من الضروري مواجهة الموقف"، وتم إقـرار مشروع القانون بعد (٤٠) دقيقة بالتصويت الشفوي وأقره مجلس الشيوخ فيما بعد في ذلك اليوم بـ (٧٣) صوتاً مقابل (٧) أصوات ووقعه [روزفلت] ليصبح قانوناً بعد تسع ساعات من إرساله اياه الى مبنى الكونغرس.

ويعيد المستر [كوهين] – وهو عضـو في هيـئة الـتـحـريـر في صحيفة النـيـويـورك تـايمـز – الى الحياة النابضة هذه الفترة الموجزة ولكن الاستثنائية في التاريخ الأمريكي، وكونه كاتباً وقاصّاً ممتازاً فإنه يقوم بذلك بالـتركيـز ليس علـى شخصية ذلك التـاريخ المركزية [روزفلت] بل على حفنة من مساعديه، واذ كانوا اسماءً مألوفة في أيامهم فقد نسيهم الناس الآن الى حد كبير ما عدا المؤرخين، وكما يوضح المستر [كوهين] لا ينبغي ان يتم نسيانهم هكذا، فنحن نعيش في العالم الذي فعلوا الكثير لخلقه.

وبـدون [فرانسيس بيركنز] و[ريكسفورد تاغويل] و[لويس دوغـلاس] و[هـنـري والاس] و[ريموند مولي] و[ويليام وودن] و[هـاري هوبكنز] وآخـريـن لما ظهر (البرنامج الجديد) [برنامج تشريعي وإداري وضعه الرئيس روزفـلـت لـلإنـعـاش الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي خلال العقد الـرابـع مـن الـقـرن الـعشـريـن – قاموس المورد] الى الوجود بهذه السرعة ولا غيَّر البلاد بهذا العمق، والسيرات الذاتية الصغيرة التي يقدمها المستر [كوهين] للقارئ تـفـعـل الـكـثـيـر لـتـزيـين الممثلين الموجودين في القصة التي يرويها ولتعرض العالم الذي طوَّروا فيه أفكارهم بخصوص كيفية جعله مكاناً أفضل . إنهم راسخو الأقدام ومقنعون.

أمـا صَورته القلمية لـ [هيربرت هوفر] فكانت – للتأكد – هي انه الرجل الغلط في المكان الغلط، في حـين ان [داور] المختلف والـذي هزمته أربعة اعـوام من الكارثة الاقتصادية المتنامية باستمرار فقد كان النقيض لـ[روزفلت] المتحمس والساحر والمتفائل بشكل طبيعي، وقد صـور العـديد من مؤرخي (البرنامج الجديد) [هوفر] على انه غير مهتم وانه مكرَّس لمبادئ إطلاق الحرية.

وقد قدَّم هذا الأمـر إحباطاً هين الاستخدام لإبراز أمجاد (البرنامج الجديد)، ولكن وكما بيَّن واحد من احدث الباحثين – انظر كتاب تـاريـخ الـعـصـر الـفـائـز بجائزة بوليتزر لـلآداب بقلم [ديفيد ام كينيدي] بعـنـوان "التحرر من الخوف" (منشورات دار جامعة اوكسفورد للنشر عـام ١٩٩٩) – انه في أحسن أحواله عبارة عن كاريكاتير، والمستر [كوهين] يتقبل هذه النظرة المتحيزة المبكرة لـ[هوفر].

وهو يذكر ان إدارة [هوفر] أمرت بـتـدمـير المـعـسـكـر الـرئـيـسـي لـ (المتظاهرين لأجل المكافأة) الذين كـانـوا قـد قـدمـوا الى واشنطن طلباً للدفع المبكر لمكافأة المحاربين القدامى، وفي الواقع كان الجنرال [دوغلاس ماك آرثـر] الـذي كان آنـذاك رئـيـس أركـان الجيش هـو الـذي هـاجـم بانتهاك صارخ أوامـر [هـوفـر] المباشرة، وهو يقول ان [هوفر] لم يفعل سوى القليل لمساعدة مالكي البيوت المكافحين للاحتفاظ ببيوتهم، وفي الواقع اقترح [هوفر] إنشاء هيئة مصارف القروض المحلية (قروض شراء المنازل- المترجمة) في كانون الأول من عام ١٩٣١، وقد استغرق الكونغرس سبعة أشهر لإقرار التشريع وقيِّد مقترح [هوفر] جاعلاً الكثير من مالكي البيوت غير المؤهَّلين.

وحتى [ريسكفورد تاغويل] قال في مقابلة له بعد سنوات بأنه "عملياً تم استقراء (البرنامج الجديد) من برامج [هوفر] التي تم البدء بها"، وأضاف "كان [هوفر] قد أراد – وكان قد قال بوضوح كاف بأنه أراد ذلك – (أراد) تقريباً كل التغيرات التي حدثت الآن تحت شعار (البرنامج الجديد)".

وبمعزل عن [هوفر] يقدم المستر [كوهين] تاريخاً منصِفاً ومتوازناً، وبحثه هائل جاعلاً اياه كله بحثاً أتعس بحيث تكون الملاحظات الأخـيرة فقط حسب الفقرات، وهذا يجعل من العسير معرفة أي المصادر يحتوي على أي حقيقة واقعة او شاهد، وعلاوة على ذلك فـإن المعلومات البيبليوغرافية مدمجة في حواشي الكتاب ما يجبر القارئ المهتم على التفتيش الدقيق رجوعاً من خلال الحواشي السابقة للعثور على مرجع الإسناد الأول.

"لا شـيء يسـتدعي الخوف" رواية آسـرة لفترة استثنائية في حياة الـولايـات المتحدة بل هي في الحقيقة رواية مثيرة، وموضوعها ليس اقل أهمية من الفترة التي قام فيها [روزفلت] والأشـخـاص الـذيـن اختارهم اختياراً حكيماً "بتحويل التقهقر الى تقدم" وبـدأوا عملية خلق البلاد التي نعرفها اليوم.

مقتطَف من الكتاب:
"كانت نسبة البطالة رسمياً تتجاوز (٢٥٪) ونسبتها فعلياً أعـلـى بـكـثـير مـن ذلـك اذ كـان الكثيرون مـمَّن يُحسَبون على الموظفين يعمَلون بدوام جزئي، وتم حبس رهن المَـزارع بمعدل (٠٠٠ ٢٠) مزرعة شهرياً، وكان مئات الآلاف يعيشون في "قرى هوفر" (وهي مخيمات للمعدمين كانت تقام على أطراف المدن في فترة الكساد العظيم في ثلاثينات القرن الماضي وذلك لإيواء الفقراء والمشردين- المترجمة) ويتناولون طعـامـهـم في مـطـاعـم الـفـقـراء (مؤسسات تقدم الحساء والخبز للفقراء – المترجمة) او ينقبون عن الطعام في صفائح القمامة، ولم يكن باستطاعة المزارعين العثور على سوق لمحاصيلهم، فأعـتـقـد الـكـثـيـرون بـأن نهاية التجربة الأمريكية كانت وشيكة ويُظهِر كتاب (آدم كوهين) [لا شيء يستدعي الخوف] سبب عدم قرب تلك النهاية".

عن / التايمز

الحياة أو الهلاك

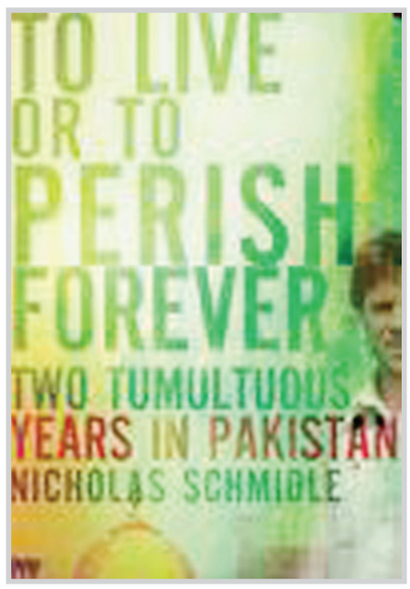

الكتاب: سنتان عاصفتان في باكستان
تأليف: نيكولاس شميدل
ترجمة: المدى

بعد تسلمه منصب الرئاسة أقسم باراك أوباما على إتباع سياسة خارجية مختلفة تماماً عن السابق، ولكن أوباما بالنسبة للقضية الأشد توتراً يبدو غير مختلف عن سابقة، ففي باكستان حافظت الولايات المتحدة الأمريكية على أهدافها نفسها وواصلت صواريخها ضرب الأهداف التي تعتبرها مشبوهة على طول الحدود الفاصلة بين باكستان وأفغانستان.

يقدم الكاتب نيكولاس شميدل في كتابه هذا تجربة عامين قضاها متجولاً في أفغانستان التي يلخصها في النهاية بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتغير في باكستان، وهذه الدولة التي تأسست من قبل محمد علي جناح عام ١٩٤٧ (المحامي وسليل عائلة ثرية) بقيت في قبضة مجموعة من الفاسدين المرتشين والسياسيين الإقطاعيين ومنهم على سبيل المثال قائد المعارضة نواز شريف والرئيس الحالي آصف علي زرداري، حيث ان الديمقراطية تعني بالنسبة اليه التصويت مرة واحدة فقط وبعد ذلك يستمر الفائز في الحكم الى مالا نهاية.

وقد أدى طمع السياسيين والحكام الذين يسيطرون على السلطة في إسلام آباد الى تجاهل الجزء الأكبر من السكان الذين يفتقرون الى التعليم، إضافة الى ذلك فإن حكومتهم الضعيفة قد فتحت الأبواب أمام تنظيم القاعدة ليتغلغل الى البلاد.

وقد تأسست باكستان أصلاً لتكون دولة مسلمة ولم تتشكل فيها أمة موحدة من السند الى بيشاور، فالسياسة فيها تعتمد على الهوية وليست على قاعدة سياسية ما، ولهذا السبب يصعب الوصول الى تسوية أو حل وسط العديد من المشاكل التي يجابهها البلد.

ويقول المؤلف أيضاً: ان كل محافظة في باكستان تقدم (باكستان خاصاً بها) والمرة الوحيدة التي اتحد فيها البلد كانت عندما قرر الطلاب الاتحاد من أجل إسقاط الديكتاتور برويز مشرف: "للمرة الأولى في خلال عشرين سنة يجتمع الطلاب من أجل قضية سياسية واحدة وليس على الهوية"، وعندما يغادر مشرف ويقتل الإرهابيون قائد المعارضة بنازير بوتو تعود البلاد الى إتباع الهوية وليست الفكرة أو القضية.

وفي كتاب شميدل فصول تبدو منفصلة الواحدة عن الأخرى محاكاة للسياسة الباكستانية ومنسجمة معها، وقد جمع المؤلف العديد من القصص المتعلقة بالجهاد على الرغم من المخاطر الجسيمة التي تجابه الصحفيين الأمريكيين في باكستان، وهو على العكس من الصحفيين الذين يفضلون البقاء في الداخل وكتابة التقارير منها، فأن شميدل سافر الى المناطق الخطرة جداً شمال غربي البلاد حيث معاقل طالبان، أو نحو الوسط حيث المعارضة القوية وقد سافر أيضاً الى بلوجستان وهي محافظة تجاهلها سائر المراسلين الأجانب على الرغم من خطورة أحداثها التي تهدد وحدة باكستان، وحيث يدور القتال في شمالها الغربي بشكل مستميت، ومن قصصه تلك صورة لعبد الله رشيد غازي الذي قاتل حتى الموت في حادثة حصار الجامع الأحمر في إسلام آباد مقدماً نموذجاً جديداً للإسلامي الجديد في معارضته لتشدد القاعدة.

كما ان المؤلف يصف في كتابه رحلته الى منطقة سوات الخطيرة للالتقاء بالملا فضل الله قائد طالبان باكستان مقدماً أيضاً صورة مختلفة عن القادة الدمويين، مذكراً القراء مع ذلك بكونه المسؤول الأول عن سلسلة الهجمات على لاهور وإسلام آباد وغيرهما من المدن في الأشهر الأخيرة.

وعلى خلاف كتب أخرى ظهرت عن العراق وحوادث الإرهاب، فأن المؤلف ينتهي الى عدة نتائج وأفكار بشأن كيفية الخروج من الفوضى الباكستانية.

وعلى الرغم من ذلك فأن المؤلف يعترف بصعوبة الأمر قائلاً: لم يجد أحد حتى الآن حلاً لباكستان من ترومان الى أوباما ومن جناح الى زرداري، لم يتوصل أي رئيس أمريكي أو باكستاني الى حل لهذه البلاد.

عن النيويورك تايمز